القصص

من الأدب السويدى

الدوار المسحور

Der verzauberte Hof

للقصصية السويدية سِلما لاجرليف

Selma Lagrloef

ولدت السيدة سلما لاجرليف فى ٢٠ نوفبر سنة ١٨٥٨ بمدينة ماريباك من أعمال فرملاند، واشتهرت بأقاصيصها القيمة، ونالت جائزة نوبل فى الآداب لسنة ١٩٠٩ ولا تزال حية

كلما تحدثت عن « بلاد القير » والناس الذين يعيشون فيها، مر بخاطرى حكاية قديمة لفروية خرجت صباح يوم إلى المرعى لتحلب أبقارها. ولما لم تجد الأنعام فى المكان الذى اعتادت الوقوف فيه منتظرة إياها، اضطرت الى أن تتوغل فى الغابة باحثة عنها. غير أنها ضلت الطريق

وكانت القروية قبيل أن تخرج من دارها قد ضاق صدرها فلما لم تجد الأبقار ساءت حالها. وبينا هى تشق طريقها بين الأعشاب والحشائش والثمام باحثة عن بقرها، كانت تفكر فى حياة السأم التى تحياها، وأنه لا أمل مطلقاً فى تبديلها. نعم، إنها تميل كل الميل الى زوجها، ولكنها أبصرت أن زوجها لم يبق له صبر على العمل إذ تقدم سنه، كما تقدمت هى أيضاً فى السن. وهى بطبيعة الحال تميل الى مزرعتها، فقد ولدت فى كنفها وشبت، ولكن ليس لها أن تغمض عينيها على صغرها وقيمتها التى لا تشرف. ولا يمكن مقارنتها بالمزارع الواسعة الفخمة الواقعة هنالك حول الكنيسة. ويزيد على ذلك أن مزرعتها تقع فى قلب الغابة حتى أن الأنسان لا يرى طوال الأسبوع آدمياً غير من بالدار. أما هؤلاء الخدم فهى لا تريد أن تنسب إليهم ما لا يشرفهم، ولكن الله يعلم أنهم كانوا كسالى مهملين الى حد فيه الكفاية

وعند ما استيقظت فى ذلك النهار قالت لزوجها إنه لابد لهما من بيع هذه المزرعة التى تقع وسط الأحراج، وأن يستبدلا بها أخرى توفر لهما معاشهما دون كبير مشقة ولكنه لم يرغب فى الأستماع إلى شىء من هذا. وذلك ما أغضبها إذ الحق كان دون شك فى جانبها

وفجأة تبينت أن ذلك ما كانت تخشاه دائماً منذ أيام صباها. وكذلك كانت تخشى وقوع هذا الأمر. ولما كانت هذه الأفكار المحزنة هى رفيقتها الوحيدة فى تسيارها، فقد نسيت بتاتاً اتباع علائم الطريق أو تتبع الأثر، حتى أصبحت لا تعرف المكان الذى وجدت به، ورأت أمامها شجرة من البلوط خيل اليها أن لها بها سابق معرفة، ولكن شجرة البلوط تلك كانت فى أعماق الغابة، ولا يمكن أن تكون قد قطعت فى تجوالها كل هذه المسافة. وانصتت إلى أصوات البقر أو صوت نداء راعيها. ولكنها لم تسمع إلا سقسقة العصافير

وجلست على صخرة ووضعت يدها فوق عينيها. ولكن ذلك لم يفدها شيئاً، إذ أن قلبها كان ينبض بشدة، وانتابتها أفكار شاردة أفزعتها. فقد سمعت من قبل عن أناس ذاقوا الأمرين فى هذه الغابة، وضلوا الطريق فيها أياماً وأسابيع، وقد وجد أحدهم ميتاً

وهى عند علماء الشيعة فى المنزلة السابعة بين الأماكن المقدسة: مكة فالمدينة فالنجف فكربلاء فسامرا فالكاظمية فالمشهد. وفى رواية أخرى أن الترتيب بعد كربلاء هكذا: الكاظمية فالمشهد فسامرا فهى السادسة، ولكنها من حيث كثرة الزائرين واتساع المسجد وضخامته تكون بعد مكة والمدينة، وقبل المزارات الأخرى فيما أظن

والكلام عن الحرم الرضوى فى المقال الآتى إن شاء الله

عبد الوهاب عزام

ولم تطق القروية صبراً على الجلوس هادئة حتى تتبين معالم الطريق ، فقامت لساعتها تضرب فى الغابة من جديد دون أن تفكر بعد هذا فى البحث عن الأبقار ، بل اتجه تفكيرها إلى البحث عن الطريق المؤدية الى دارها

وبعد أن سارت طويلا دون أن تدرك أين هى ، انبثق النور فجأة وتفتقت أمامها الأشياء وتجلت ، إذ أخذت الغابة نهايتها ، وتبينت قبالتها (دوّاراً) فخماً لأحد الريفيين

وما كادت تلمحه حتى وقفت مبهوتة . إذ هى تعرف عن يقين أنه لا يوجد فى هذه المنطقة دوار آخر غير الذى تملكه . وما رأته الآن لن يكون إلا سراباً وصورة كاذبة .

هذا أسوأ شيء رأته ، فقد سحر عفريت الجبل أعينها . ولم تبحث عن دوار الجن ولم تجسر على النظر إليه ، ولكن أعينها امتدت دون ارادتها إلى ذلك البناء الذى لم تر قط أبدع منه . لقد كانت الدار حقاً قديمة ولكنها مدعمة متينة . وكانت المخازن والأهراء عديدة فسيحة إلى حد أنها تكفى قرية بأكملها

قالت لنفسها : « أنه مع ذلك لا شيء هنالك يخالف ماعندى ، اللهم إلا أن هذا أجل وأعظم أضعافاً مضاعفة . نعم ، إن عفريت الجبل لايهمه الثمن . وقد يخيل إلى أن هذه الدار مَشيدة من أشجار البلوط . وإذا لم أكن قد سحرت وكانت عيناى تتبينان الأشياء على حقيقتها ، فلن يبقى من كل هذه العظمة غير كومة من النمل »

ثم رجعت ثانية الى الغابة ، وكانت تتسلق هضاباً صعبة المرتقى وتنزل غيرها وعرة المنحدر ، ومع ذلك لم تجد طريقاً ، أو علامة الأميال ، أو كوخاً ينشر فيه الخشب ، حتى ولامنحدر ماء يصح أن يكون نجماً تهتدى به فى طريقها . وكانت تسير وكأنها فى قاع بحر خضم اخضر لونه . قالت فى نفسها : « هنا وجب علىّ المسير حتى تعمى موجة خضراء وتطويني ضمنها »

وفيما هى سائرة إذا بها قد وصلت فجأة الى طرف الغابة مرة أخرى . ورأت ثانية نفس الدار الفخمة

وهنالك تلك الدار . وعلى نوافذها ستائر بيضاء ، ويتقدمها بضع أشجار من التفاح منبثقة . وكانت مدهونة بدهان أحمر جعلها تتألق فى الزينة ، حتى لكأنها مشتعلة وسط البقعة الخضراء كجمرة السعادة فى ليلة صيف على طريق أخضر يفصل حقلين

وكانت فى هذه المرة قريبة منها لدرجة مكنتها من رؤية كل شيء فيها . وكانت آلات الحرث والزرع والعربات موضوعة فى مخازنها ، كما كانت الأخشاب مصفوفة صفاً . وكانت العربات تسير دون التواء بين الحقول . وكانت الخيول القصيرة الجميلة القوية البناء الممتلئة كالتى تتمناها ، ترعى فى المراعى التى تأثرت بالصقيع

وكلما أنعمت النظر فى كل شيء فيها أثار ذلك إعجابها ، وقالت فى نفسها : « أى ، لو أن هذا الدوار الريفى لى ، للذ لى المقام فيه ؛ نعم إنى أراه منعزلاً بعض العزلة غير أنه جميل للغاية ، ومن أمامه البحيرة ومن خلفه الجبل »

وقالت فى نفسها : « ذلك الرجل الذى يسير الآن بين مبانى ذلك الدوار الريفى ليخرج الخيل ، لاشك أنه صاحب المزرعة ، ولم أر فى يوم ما من أيام حياتى رجلاً ضخماً قوياً مثله »

ولكن فرحها الأعظم كان بقطيع البقر الذى خرج تواً من الغابة ووقف عند طرفها .

وقالت فى نفسها : « هذه الأبقار مسحورة ، لايشك فى ذلك كل من يراها . ضرع طويل وحوالب متوازية . وجميعها ذات لون أحمر كالجمر ، إن حلب مثل هذه الأبقار لهو الفرح بعينه . . . كم لترا من الألبان تدر هذه الأبقار يا ترى ؟ »

وشعرت بأن ذلك الأغراء يتزايد عندها ويدفعها الى التقدم نحو البقر المسحور لتحلبه ، ولترى ذلك الدوار الريفى الفخم ، الذى نسق كل شيء فيه أحسن تنسيق . وتشككت فى ضعف طبيعتها . وأخيراً تقدمت نحو الدوار المسحور

ولما وصلت إلى حيث وجدت البقر مستلقيا على الأرض استقبلها بخوار من الفرح . ووقفت لتراه ، فتقدمت قائدة البقر ووضعت خيشومها فى يدها كأنها اعتادت أن تجد شيئاً من لذيذ الطعام فى هذه اليد

فأدركت أن هذه الأبقار لا يمكن أن تكون إلا أبقارها . لقد ميزتها من جديد وهى تعرف اسم كل منها

ولكن كيف يتفق هذا وذاك ؟ كيف يصح لأبقارها أن تنام عند طرف هذا الدوار الريفى المسحور ؟

وفى نفس اللحظة انفتح باب الدار . وخرجت منه بنت صغيرة ذات شعر ذهبى مسترسل ، وكانت مرتدية جلباباً أزرق مفوّفاً

[البقية على صفحة ١١٤]